رمزية التجريد في الشعر الشعبي قصيدة ((العصفور التائه)) للدكتور عمرو خليفة النامي

د. رضا محمد جبران – قسم اللغة العربية
كلية الدعوة الإسلامية طرابلس

الملخص:

في كثير من أروقة الحياة تتجلى بعض الشخصيات الفذة التي تلفت نظر بعض المعجبين، وبعض الشذاذ المرجفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فتكون تلك الشخصيات في امتحان وابتلاء وبلاء، من فرط بوح تزكيات المعجبين، ومن تربص المفسدين، فيضيق أفقها، ويعظم بأسها في ظل الظالمين، ومن هذه الشخصيات الفذة الشيخ الفقيه المربي الأديب المبدع الدكتور عمرو خليفة النامي (ح)، وهو أحد الشخصيات المرموقة في الفكر والثقافة بليبيا وخارجها، ممن نصروا الدين بسماحتهم وأخلاقهم، وحكمتهم في الدعوة إلى الله، ودين المصطفى عليه الصلاة و السلام، فغيبته أيدي الظلمة في السجون الليبية فترة العقود الماضية من سنينها العجاف ما بين السبعينيات والثمانينيات، خشية تأثيره في عقول الناس، وتفتيح مداركهم وتبصيرهم بحقيقة العلم، وزيف الواقع والمنهج الذي بدأ يسود البلاد من الطغيان وحكم الفرد، «فهو رجل له باع طويل في خدمة التراث الإسلامي ونشره، غير أنه ما لبث أن أخفي قسرا، ولم يعلم مصيره».

كلمات مفتاحية: الرمزية، التجريد، الشاعر عمرو النامي، الشعر الشعبي، مضامين متنوعة في النص.

Summary:
In many aspects of life, some outstanding personalities appear that attract the attention of some admirers, and some trembling deviants who spread corruption on earth and do not reform. Thus, these personalities are tested, tested, and afflicted, due to excessive revealing of the praises of their admirers, and from the lurking of corruptors, thus narrowing their horizons and increasing their might under the shadow of The oppressors, and among these distinguished personalities is the sheikh, jurist, educator, creative writer, Dr. Amr Khalifa Al-Nami (□), who is one of the distinguished figures in thought and culture in Libya and abroad, who supported the religion with their tolerance, morals, and wisdom in calling to God and the religion of the Chosen One, peace and blessings be upon him. The darkness in Libyan prisons during the past decades of their lean years between the seventies and eighties, for fear of its influence on people's minds,

Key: trembling deviants, Amr Khalifa Al-Nami, wisdom

المقدمة:

الدراسة محاولة للتعرف على مضمون قصيدته الشعرية التي كتبها في قالب وزني من الشعر الشعبي، تطرقنا فيها إلى مفهوم التجريد لغة واصطلاحا، حيث أجرى الشاعر أحاديثه التي عبر فيها عن اعتزازه بالوطن، مظهرا صراحة طبيعة الواقع المأساوي الذي عاشه، وبعض ما كان يعج فيه من نعوت مميتة، وشعارات هوجاء، مستشرفا فضاء المستقبل بصمود وعزة نفس، مع إظهاره لشيء من خيبة الأمل. فهذه القصيدة المملؤة حماسا ورفضا جاءت في أسلوب شعبي، رأينا أن نبحث ونبرز جانبا مهما من جوانب شخصية الشاعر الأدبية في حيزها الشعبي الذي أراد له أن يسافر في أفق أرحب عبر كلمات هي مازالت مشدودة إلى معجمه اللغوي الفصيح، وكما قالوا: ((يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر))، فشاعرنا متنوع المشارب ولم يؤلف عنه مثل هذا اللون من الشعر، فقد تميز بفصاحة أسلوبه

الشعري والنثري، ومن حسن حظي أن شاركت في المؤتمر العلمي الأول بنالوت ببحث حول شعره الفصيح، فأهداني أثناء ذلك المؤتمر الأستاذ عيسى مزيدة هذا النص الشعري الشعبي الزجلي، فله الشكر والتجلة على هذه الهدية القيمة، والوثيقة المهمة التي أظهر من خلالها شاعرنا قدرته على تعاطي شتى أنواع الأدب والشعر واللغة.

لقد حاول الشاعر بقدرته واختياره للموضوع الذي جعله مسارا لبث همومه وآهاته، وأشجانه، أن يتخذ من التجريد حيزا واسعا في تشخيص ذاته، وتقرير ما يضيق به، وهو يحاور عصفورا تائها حل في فضاء الزنزانة التي كان يقبع فيها مع زملائه، وهنا تكمن حاجتنا للاقتراب من هذا العالم وفق آليات إجرائية لمقاربة هذا النص وتحليله، للتعرف على أهم مرتكزاته، وذلك من خلال دراسة بعض المفاهيم والمضامين التي احتواها هذا النص، وتوضيح الجانبي النفسي الذي خاضه هذا الشاعر، وهو يخاطب أهله وأصحابه، ووطنه، والغيارى، مستشرفا واقع الحياة ومآلاته التي صدقت رؤياه فيها، باعثا الأمل، وموصلا الهمة إلى الذين يقفون خلف القضبان وأمامها، «فإن التحليل النفسي هو الذي يؤدي دور الوسيط بين العمل الأدبي وقرائه»[1].

حيث تقدّم قراءة الجانب النفسي في النصوص الشعرية وأساليبها، منهجًا واضحًا للتواصل والتفاؤل في حياة الأديب، وقد كانت واضحة جلية عند الشاعر عمرو

1- مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، وائل بركات، غسان السيد، مطبعة زيد بن ثابت، ص71.3

النامي، وهو يتلقى صدمة الموت بروح عالمة بمصيرها المحتوم حيث يقبع في سجنه، ويبرد لهيب سياط سجانه.

فمن يقرأ قصيدته «العصفور التائه» سوف تتجلى له رمزية تجريد ذاته، وهو يحاكي ويناقش ذلك العصفور، وكأنه إنسان يفهم ويعقل، وهذا النقاش والحوار ستظهر من خلاله الكثير من الموضوعات حيث إن : «فن المناقشة هو الذي يعين على تنسيق الأفكار للبحث فيها من بعد»[2]، والشاعر عمرو النامي رحمه الله قد أصابه بعض اليأس من الواقع الذي عاشه، رغم أمله الذي ملأ قلبه ليعيش بطمأنينة، وحياة كريمة، ولكن سرعان ما يتفاجأ بمن يعبث بكرامته، ويدنس طهارة روحه وجسده، ولسان حاله يقول: «سنقاوم ما دامت هناك فرصة للنجاة من الموت، ولو كان الإمساك بها كالإمساك بريشة في عاصفة»[3]، حيث أصبح الموت حقيقة ماثلة أمام عينيه (ς).

فهو عندما بدأ يحادث ذلك العصفور إنما أراد أن يشخص ويجرد ذاته، محاولا تصوير مشاعره في قالب هو أقرب للقصة المأساوية، وهذا الحديث أو الخطاب مألوف في أساليب العرب، وأشعارهم، وفي كلام الله سبحانه، للتأكيد على بعض الظواهر التي قد تخالف طبيعة وفطرة الإنسان الذي قد يغيب عقله، وتعصف به الأهواء والنفس، وفي هذه الأساليب عبرة ورمزية تشد انتباه المتلقين، وذلك عندما يكون المخاطب ممن لا يعقل، وإنزاله منزلة من يعقل.

2- المعجم الادبي ص83.

3- طريق جهنم، د. أيمن العتوم، عصير الكتب، 2018، ص33.

مفهوم التجريد لغة واصطلاحا:

مصطلح أخذ من مفهومه اللغوي المضعف الذي مادته هي:((جرَّدَ يجرِّد، تجريدًا، فهو مُجرِّد، والمفعول مُجرَّد ومنه، جرَّد الأمرَ أو الشَّيءَ: انتزع عنصرًا من عناصره والتفت إليه وحده دون غيره أو استخرج ذهنيًّا الماهيّة بقطع النَّظر عن تشخُّصها الخارجيّ. وهو أن ينتزع الإنسانُ من نفسه شخصًا يُخاطبه))4.

وهو قدرة من خصائص الإنسان التي تتفتح في العقل، وليست عند جميع البشر على السواء5 ، ((فإن التجريد الحقيقي هو أن تخاطب غيرك وتوجه الخطاب إليه وأنت تريد نفسك، وأما ما هذا حاله فإنك توجه الخطاب فيه إلى نفسك، فلهذا كان نصف تجريد كما ترى، والحقيقة هي أن الإنسان لا يخاطب نفسه، وإنما يخاطب غيره))6.

وهذا النوع شائع في أساليب العرب، وورد أيضا في كتاب الله لمخاطبة ما لا يعقل مثل قوله تعالى: ((يا جبال أوبي معه))فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة؛ لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر، ويقول الحق سبحانه: ((ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ))، وقد تكلم بشيء من هذه العبارات السلف من الصحابة وغيرهم :فعن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال: ((إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا

---

[4] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب، ط1، 2008 م، ص360.

[5] اللغة، جوزيف فندريس Joseph Vendryes، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950 م، ص14.

[6] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، 1423 هـ، ج3، ص42

أنِّي رأيت النَّبي صلى الله عليه وسلم يقبِّلك ما قبلتك[7]))، ومنه ما يروى عن هارون الرشيد أنه كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول :«اذهبي إلى حيث شئتِ يأتيني».

ويقول الشاعر:

إن بحتُ باســـمك لم آمن عليك وإن كتمــتُ حبُّــك لم آمن على بــدني
فقـد وقفـتُ على حـالين من عطـبٍ فانظُر لعبدكَ يا ذا المنظرِ الحســـنِ

لتنزلها منزلة من يعقل، ومثله:

بكيتُ على سِـــرْب القَطا إذ مَرَرْنَ فـقـلــتُ ومـثـلـي بـالـبـكـاء جـديـرُ
أسِــرْبَ القطا هَل مَنْ يعير جناحَه لـعـلـي إلـى مَـنْ قـد هَـويـتُ أطـيـرُ

فهذا أسلوب مألوف وجرت به الأقوال عند العرب ((لأن العرب إذا أخبرت عمن لا يعقل بفعل من يعقل أجرت لفظه كلفظ من يعقل))[8].

وتظل هذه المخاطبة في سياق نفسي يردده المتكلم، للوصول إلىٰ كنه العمل المخصوص بمخاطبته، في جوانب حسية تنطلق من واقع الحياة ((فحدّ التجريد إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه؛ لأن أصله في وضع اللغة من جرّدت السيف؛ إذا نزعته من غمده، وجرّدت فلانا؛ إذا نزعت

---

[7] رواه البخاري (1520) ومسلم (1270)

[8] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقةط1، 2008 م ج6، ص360

ثيابه))[9] والتجريد في البلاغة: أن ينتزع من أمرٍ موصوف بصفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، للمبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر المنتزع عنه))[10]، وهو أيضا ((أَن ينتزع من متصف بِصفة مثله فِيهَا؛ مُبَالغَة فِي كمالها فِيهِ.))[11]

مضامين متنوعة في النص:

تعددت مضامين نص قصيدة العصفور، وتشكلت في نظام خطابي متين، يستجلي قيم حب الوطن، والتشوق للحرية، ويعظم منهج الصراحة والمواجهة في الواقع المعيش الذي بدأ يتشكل بشكل غير طبيعي، حيث استوعب بعض المفاهيم النقدية للأساليب المقيتة التي تهين كرامة الإنسان، وكذلك أظهرت هذه المضامين رؤى الشاعر المستقبلية، وعدم رضاه لما يدور في الخفاء من هذا العهد الذي قيد حريته، وحرية الشرفاء، وأفسح المجال لسقط المتاع وهو ما اغتم به صدر الشاعر، وأفسح مجال خيبة الآمال عنده، رغم دلالات صموده وعزة نفسه التي وردت في سياق هذا النص:

---

[9] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر:1420 هـ، ج1 45

[10] كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1 –1983م، ج1، ص52.

[11] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)

المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ط1، – 2004 م، ج1، ص98.

الاعتزاز بالوطن والوطنية:

في هذه الجزئية تعلو نبرة الخطاب الشعري، التي تنبع من صميم الحب، وعميق الوجدان، فالحديث هنا يختص بذكر الوطن الذي ولد فيه الشاعر، ويؤكد مدى اعتزازه، وتفاخره به، حيث كان يحيا عزيزا حرا برا به، بين أهله وجيرانه، تربى في أحضانه كالطيور التي خلقت لهذه الحياة، قبل أن تقيد حريته، فكان تأسفه وألمه؛ لأنه بدأ يخشى أن ينازعه هذا الحب من لا يعرفه، ولا يقدره حيث قال:

ولكن إربـايـت عز في الأوطـان	كما تنشـأ على العالي طيور أحرار
فيـه انخلقـت وهو اللي ربـاني	وهو وطننـا واحنـا ضـنـاه أبرار
والوطن هو نـاسـي وهو جيراني	هو نبض قلبي هو زاهـا الأنظـار
حـبـه وحـب الله فـي وجـداني	مـا نـيش مـالـجحـاد والـنـكـار
انكان هي جريمة حب وطني راني	مجرم عنيـد انقولهـا بـاجهـار
يا طير شـاغلني مصـير أوطاني	وأحوال هلنـا اكبـارهم واصـغـار

الصراحة والواقع:

في هذه المساحة الشجية تظهر مأساوية الواقع المعيش الذي اختاره الشاعر، من الإباء والأنفة وعدم الرضوخ والاستكانة للمبادئ العشوائية التي بدأت تلوح في الأفق، وحجبت معها المعاني السامية، والأخلاق النبيلة، فكان يقابلها القمع والظلم، والعذاب، وإهانة النفس، ونبذ القيم العليا، التي آمن بها من أصبح جلادا، لا يعرف أقدار الرجال الأفذاذ، وهو ما ألجأ الشاعر إلىٰ توسيع الصورة اللاإنسانية في أبشع صورها، من واقعه الذي وصفه، أدق تصوير، حيث بدأ يصور ما لا يطيقه من فاحش القول، والآلة الصماء التي تفنن الجلادون في ممارستها عليه، في سجن ما أطلق عليه « الحصان الأسود» حيث بدأ التعذيب بالكهرباء، والضرب بالمسامير،

والفلقة التي أفقدته الحركة والمشي، ثم أخذ في تصوير قهره، والدماء تغمره، وهو يحتسب أمره ويصب جام غضبه علىٰ ذلك السجان الشوشان، الذي تجنى عليه بقسوته وقهره، ما لا يرضاه اليهود ولا الكفار من بشاعة تعذيبه، لا لشيء إلا لجعله عبرة لغيره، أو لتغيير قناعته التي مات عليها، وكل هذا الخطاب جاء ليبث همومه وغمه لذلك الطير الذي رأى فيه فرجة لتفريغ تلك الآهات، حيث قال:

سـب وشـتايم وحبس في الزنزانة ... والسـوط فينا عال يسـيل نهار
عمل شين لاهو عدل لا هو انساني ... ولا يـرضـوه ايـهـود لا كـفـار
يـا طير لو تفهم اللي كـداني ... واللي امسـيبلي عظيم اكـدار
من بالحصـان لسـود ولا من كاني ... ولا من خيوط الضـي لا المسـمار
ولا من جروحن دمهـا غطـاني ... ولا من ضـرب فلقـه مع الفجـار
وابقيت حامل سـبة الشـوشـان ... وتغيير للحـام اللي بقي جرجـار
ولبس الهـدوم اللي تقول اكفـاني ... وشـوفت اعزازي من ورا لسـوار
ولا عـاد روحي همهـا شـقـاني ... ولا عـاد عيني دمعهـا سـيـار
هـادي هـمـوم وجـرحـهـا بـرانـي ... وصـيروهـا خراف للسـمـار

النعوت المميتة:

تعاظم الكرب علىٰ شاعرنا الفذ ي، وتوثق إيمانه وعقيدته بالله، حيث توجه بالشكوى وبث الحزن لما واكبه، وما ألم به في ذلك السجن اللعين من جناية الأحكام الكاذبة التي اتخذه الجناة لتجريم أهل الفضل والعلم، وممارسة الظلم بكل صوره، بتهم ونعوت مميتة، تعرض صاحبها للهلاك والسجن والشنق والموت دون وجه حق، حيث أنكر الشاعر عدم جنايته في حق وطنه لا بخيانة، أو جلب عار، أو عدم ضلوعه في منهج مريب حتى يلاحق لأجله، حيث ألبسوه بعض التهم الباطلة

المميتة ظلما، كالشيوعية، والقومية، والإخوانية، وهي تهم مازالت تمارس لتصفية الخصوم، وقمع أهل الحق، وعند الله تجتمع الخصوم، حيث قال:

ربي شـــكيـت بحـالتي وأحزاني ولغير ربي ما فشـــيت أســـرار
مـــا لي جريرة ولا جريمـــة جـــاني ولا خنـت وطني ولا جلبـت العـار
ولاني شـــيوعي حمر ولا نصـــراني ولا فـالســـيـاســـــة نعتبر دبـار

وقوله:

تهم بـاطلـة وأســـــاســـــهـا بهتـاني علينـا فرض لا وزن لا اعتبـار
وفرزنا كما تفرز أشـــياه الضـــان اللي مـاشـــيـة للســـوق والجزار
شـــيوعي وقومي وبعض منا إخواني وصـــنفه بلا حجة ايمين ايســـار

الشعارات المذلة:

في هذه الباحة حاول الشاعر أن يصف ما كانت تعج به تلك الأيام، من شعارات، ومناهج، ومباديء أصبحت عقيدة عند كثير ممن آمن بها، ومخاطبة الشاعر للطير لإظهار خشيته علىٰ الوطن الذي بدأ يتشكل من قيم غير إنسانية، حيث اختزلت الوطن في ذواتهم ونزاوتهم، فضاع كيانه، من اللجان التائهة التي جنت علىٰ نفسها وعلى وطنها، أو ما يعرف باللجان الثورية حيث قال:

يا طير شـــاغلني مصـــير أوطاني وأحوال هلنـا اكبـارهم واصـــغـار
لـجـــان ومجـــالس دايرة طنـــاني ويمشـــو في مســـيرة صـــوتها هدار

استشراف المستقبل:

هنا تجلت حكمة الشاعر، ورؤيته للحالة التي سار فيها ذلك العهد، حيث رأى اقتلاعه، وانتزاعه، لعدم قيامه علىٰ أسس وقيم تعز أهل الحق، وتحفظ أهل العلم، وكان يرى لهذا الملك وإن لم يدرك نهايته، النهاية البشعة، التي تحكيها كثير من

الممالك التي بنيت علىٰ الظلم والضلال، وقد تمنى الشاعر أن يمن الله عليه برؤيتها حاسرة، متهالكة، من خيبة الآمال التي بدأ يعيشها في ظل سجنه وبين جلاديه: حيث قال:

نطلب الله الخالق الوحداني قبل ميتي فيهم انشوف نهار
يشكع لهيبة اتقول برق امزان ودولة الباطل فوقهم تنهار
يا طير نسمع في خبر خلاني زامط علايل شبهة المرار
ويا طير هاهي اليوم أشجاني منها انلاجي شبهة البندار
زيادة على بختي وميل زماني وطني ادمر راح في التيار
كمشة انذال وحلمهم بطلاني اقلال العقيدة رايهم دمار

الصمود والعزة والمواجهة:

تناجى الشاعر في كربه مع ربه، وأظهر إيمانه المطلق بالقضاء والقدر، وصبره علىٰ الأذى، فهو أمر كتبه الله عليه في لوحه المحفوظ، ولا راد لأمر الله حيث قال:

ربي كتب نبقى سنين انعاني واللي انكتب في اللوح عده صار
حكمة الله وحكمته رباني مقدر مقاديره أقدار أقدار
مقسم حظوظ الخلق بالميزان وفارز ضنى للإسلام ما لكفار
وفارد جناح الطير فوق امزاني ورازق الحوتة في عميق أبحار
ومخضر ورقها نبتة المتنان وبعدين جاعلها حطب للنار
بحكمه ارضيت اليوم كي ما تراني حامل همومي وعالبلا صبار

الظواهر الفنية في النص:

أسلوب النداء: وهو أسلوب إنشائي له قيمته في لفت انتباه المتلقي ودعوته لأمر يهمه أو يثير اهتمامه، وقد جاء في كتاب "البلاغة العربية: أسسها ، وعلومها ،

وفنونها: ((وقد يخرج النداء عن المعنى الأصليّ الموضوع له ، فيُسْتَعْمَلُ لدى البلغاء وغيرهم في أغراضٍ أخْرى غير النداء، وهذه الأغراضُ تُفْهَمُ من قرائن الحال أو قرائن المقال ، فكلُّ حَرَكَةٍ نفسيَّةٍ ذات مشاعِرَ ، تَدْفَعُ الإنسان إلى التعبير عنها بنداء ما ، بطريقةٍ تلقائية ، ولو لم يشعر بأنّ هذا النداء يحقق له مرجوّاً أو مأمولاً ، أو يدفع عنه مكروها.كأن يستعمل النداء في : الزّجْر واللّوم ، أو التحسّر والتأسّف والتّفجع والندم أو النُّدْبة ، أو الإغراء ، أو الاستغاثة ، أو اليأس وانقطاع الرجاء ، أو التمني ، أو التذكر وبث الأحزان ، أو التضجر ، أو الاختصاص ، أو التعجب))[12].

حيث ابتدأ الشاعر قصيدته بأسلوب نداء عقبه استفهام أظهر من خلاله الشاعر استغرابه وتعجبه من حالة هذا العصفور التائه الذي لم يحسن اختيار المكان المناسب الذي ينزل فيه، وهنا حاول الشاعر أن يجرد ذاته ليخاطبها ويناقشها على لسان هذا العصفور، فجعل نداءه نداء الزجر واللوم، محاولا دفعه وصده عن هذا الاختيار الذي اختاره، بعد سؤاله عن سبب اختياره لهذا المكان، وهو يملك قدرة لا يملكها هذا الشاعر، وكأنه يتحسر ويتوجع من غفلة هذا العصفور، وعدم قدرته على محاكاته في الطيران، حيث قال:

يـا طير شـــن حطك على لهـا ونت بجناحك في الســـما طيار

ومخاطبة الطير مألوفة في أساليب الشعراء كقول طرفة بن العبد:

يــا لَــكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمِر المــداني خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيضـــي واصْـــفِرِي

[12] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، لطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م، ص241.س

الاستفهام الإنكاري:

«ومعناه النفي، والمقصود منه هو الإنكار على المخاطب فعل أمر قام به في الماضي أو يمكن أن يحدث في المستقبل))[13]، وقد جاء هذا الاستفهام في مفتتح القصيدة بلفظ ((شن)) في قوله: يا طير شن حطك على لها المداني وهي لفظة عامية دارجة في اللهجة الليبية وتعني ما الذي حط بك هنا في هذا المكان، وجاء لبث الشعور والإحساس في العصفور، وتحميله المسؤولية، وتحميله أمانة مخاطبة الأهل، ووقوفه موقف الأمين على الأسرار، بعد إنكاره عليه ومعاتبته على وقوفه ونزوله وخوضه للمجهول

تنوين الترنم:

وهو تنوين يقع كثيرا في قافية الشعر مع حروف المد، وقد سرى هذا اللون في الشعر الشعبي في ليبيا وغيرها من البلدان الذين يستخدمون الشعر النبطي بهذه الطريقة ولكن لم يقتصر استعمالها في القافية فقط بل تطرق في حشو الأوزان مثل استعمال الشاعر عمرو النامي ذلك بقوله:

زرزورن غضـــيبن ونبتك شـــيطاني مســـــيـــب العز وجـــاي للاقهـــار

وقوله:

وترســـــل كلامن تنطقه بلســـــاني لكل شـــــخص ليبي تعرفه نغار

نحكيلـــك كلامن كـــاتمـــه جواني مسطر على قلبي أسطار أسطار

[13] دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح الفرحان)، القسم الثاني (محمد أديب شكور أمرير) الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ج2، ص36

فهذا النوع من التنوين كان يستخدمه ((النحويون في تسمية تنوين الترنم وهو يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب ويلحق القافية المطلقة بدلا من حرف المد متممًا للبناء مكملا للوزن كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلن

وقول جرير: أقلي اللوم عادل والعتابن

وقوله: سقيت الغيث ابتهما الخيامن))[14].

أسلوب الشك:

من أبرز الأساليب التي ترد في كتابة الأدباء والشعراء، أسلوب الظن أو الشك لتوجيه عناية المتلقين إلىٰ بعض المضامين التي يستوجبها توظيف الشك والظن، وهذا الأسلوب كثيرا ما يخالج مكنون الشعراء في بلوغ مقاصدهم وغاياتهم، التي قد لا تتحقق، وهم يرغبون تحققها فعلا، حيث لجأ الشاعر عمرو النامي لهذا الأسلوب وهو يخاطب عصفوره الطاريء ظنا منه أنه سيحمل عنه أشجانه وهمومه، ويبلغ بعض حنينه لأهله وجيرانه، حيث يقول:

والا زعم مرســـول كي تلقــاني وجـايبلي حكـاوي من أبعـاد الـدار

انكانك صـحيح تقدر اتشـيل معاني وتقطع فيـافي واســـعـة واقفـار

وترســـل كلامن تنطقه بلســـاني لكل شـــخص ليبي تعرفه نغار

نحكيلــك كلامن كــاتمــه جواني مسطر على قلبي أسطار أسطار

قصيدة العصفور التائه:

يَا طَيْرْ شِـن حَطَّك عَلي هاالمداني ونـت بجنـاحـك في الســـمـا طيـار

[14]رسالة الملائكة، أملاه: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري (المتوفى ٤٤٩ هـ) عني بتحقيقه وشرحه وضبطه ومعارضته: محمد سليم الجندي، عضو المجمع العلمي العربي الناشر: دار صادر – بيروت، عام النشر 1992 م.، ص260

نازل بروحك في حبسنا بلعاني ولا فيه زرع ولا فحل جرار
زرزورن غضيب ونبتك شيطاني مسيب العز وجاي للاقهار
والا زعم مرسول كي تلقاني وجايبلي حكاوي من أبعاد الدار
انكانك صحيح تقدر اتشيل معاني وتقطع فيافي واسعة واقفار
وترسل كلامن تنطقه بلساني لكل شخص ليبي تعرفه نغار
نحكيلك كلامن كاتمه جواني مسطر على قلبي أسطار أسطار
ربي كتب نبقى سنين انعاني واللي انكتب في اللوح عده صار
حكمة الله وحكمته رباني مقدر مقاديره أقدار أقدار
مقسم حظوظ الخلق بالميزان وفارز ضنى للإسلام مالكفار
وفارد جناح الطير فوق امزاني ورازق الحوتة في عميق أبحار
ومخضر ورقها نبتة المتنان وبعدين جاعلها حطب للنار
بحكمه ارضيت اليوم كي ما تراني حامل همومي وعالبلا صبار
ربي شكيت بحالتي وأحزاني ولغير ربي ما فشيت أسرار
ما لي جريرة ولا جريمة جاني ولا خنت وطني ولا جلبت العار
ولاني شيوعي حمر ولا نصراني ولا فالسياسة نعتبر دبار
ولكن إربايت عز في الأوطان كما تنشأ على العالي طيور أحرار
فيه انخلقت وهو اللي رباني وهو وطننا واحنا ضناه أبرار
والوطن هو ناسي وهو جيراني هو نبض قلبي هو زاها الأنظار
حبه وحب الله في وجداني ما نيش مالجحاد والنكار

انكان هي جريمة حب وطني راني ... مجرم عنيد انقولها باجهار
ملعون جابلنا خبر تحتاني ... شرير طالع من أصلاب أشرار
عقله يهلوس شبهة السكران ... وصوته قبيح اتقول صوت احمار
تهم باطلة وأساسها بهتاني ... علينا فرض لا وزن لا اعتبار
وفرزنا كما تفرز أشياه الضان ... اللي ماشية للسوق والجزار
شيوعي وقومي وبعض منا اخواني ... وصنفه بلا حجة ايمين ايسار
سب وشتايم وحبس في الزنزانة ... والسوط فينا عال يسيل نهار
عمل شين لاهو عدل لا هو ... ولا يرضوه ايهود لا كفار
يا طير لو تفهم اللي كداني ... واللي امسيبلي عظيم اكدار
من بالحصان لسود ولا من كاني ... ولا من خيوط الضي لا المسمار
ولا من جروحن دمها غطاني ... ولا من ضرب فلقه مع الفجار
وابقيت حامل سبة الشوشان ... وتغيير للحام اللي بقي جرجار
ولبس الهدوم اللي تقول اكفاني ... وشوفت اعزازي من ورا لسوار
ولا عاد روحي همها شقاني ... ولا عاد عيني دمعها سيار
هادي هموم وجرحها براني ... وصيروها خراف للسمار
يا طير شاغلني مصير أوطاني ... وأحوال هلنا اكبارهم واصغار
لجان ومجالس دايرة طناني ... ويمشو في مسيرة صوتها هدار
شغلتهم اهتاف وصيحته زناني ... والفعل فعل القرد بو منيار
بقيت الدنيا دينها فوقاني ... واحرار وطني في ضنا واحقار

جـوا ذلايـل لـلـوطـي والـدانـي وبـرا ذوايـح بـيـن كـل اقـطـار
جوا مشـــانق وضـــرب بالمليان وبرا ضـــحـايـا بضـــربـة الغـدار
وثروة بلادي ضـــايعـة هتـاني ومقسـمة بين عسـكري وسـمسـار
يـا طير نســمع في خبر خلاني زامـط عـلايـل شـــبـهـة المـرار
ويـا طير هـاهي اليوم أشـــجـاني منهـا انلاجي شـــبـهـة البنـدار
زيـادة على بختي وميـل زمـاني وطـنـي ادمـر راح فـي الـتـيـار
كمشـــة انـذال وحلمهم بطلاني اقـلال الـعـقـيـدة رايـهـم دمـار
نطلـب الله الخـالق الوحـداني قبـل ميتي فيهم انشـوف نهـار
يشـــكع لهيبـه اتقول برق امزان ودولـة البـاطـل فوقـهـم تـنـهـار
وصـــل معايا عالنبي العدناني على عد ما صـب السـحاب امطار

الخاتمة:

لقد سعينا عبر مكونات هذا البحث إلى تعقب مسارات، وهموم، وآهات الشاعر عمرو خليفة النامي الذي يوظف التجريد ضمن حيز واسع لتشخيص ذاته، وتقرير ما يضيق بها، حيث يحاور عصفورا تائها حل في فضاء الزنزانة التي كان يقبع في حيزها بمعية زملائه وأنداده من المعتقلين، وهذا ما يجعلنا نستنبط بعض السمات والرؤى والمقاصد المهمة في القصيدة المدروسة:

1 _ إبراز الجانب النفسي: يخاطب الناظم الشعبي / الزَّجَّال أهله وأصحابه، ووطنه.

2 _ تقديم صور من واقع الحياة ومآلاته التي صدقت رؤياه فيها.

3 _ شحذ همم الواقفين خلف القضبان، وبعث الأمل فيهم.

4 _ احتواء القصيدة المدروسة على منهج للتواصل والتفاؤل في حياة الزَّجَّال.

5_ وصف المبدع لشعارات، ومناهج، ومبادئ عصره التي أصبحت عقيدة عند كثير من الملأ.

من خلال مخاطبة الشاعر للطير لإظهار خشيته علىٰ الوطن الذي بدأ يتشكل من قيم غير إنسانية

، حيث اختزلت الوطن في ذوات ونزوات، فضاع كيانه لدى اللجان التائهة التي جنت علىٰ نفسها.

6 _ قوة اللفظ والمعنى الشعريين من خلال توظيف الناظم لتنوين الترنم الذي يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب، ويلحق القافية المطلقة بدلا من حرف المد متممًا للبناء مكملا للوزن والتطريز اللغوي (الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي).

7 _استعمال أسلوب الشك: يستغله المبدع لتوجيه عناية المتلقي إلىٰ بعض المضامين التي بغية ترجم مكنون نفسه وتروم بلوغ قصده وغايته، كما يظهر في مخاطبته للعصفور.

المصادر والمراجع:

1-البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، لطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996 م.

2-رسالة الملائكة، أملاه: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، ط1، 2008.

3-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت

4-عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، د. سلطان مبارك بن حمد الشيباني، مكتبة الأنفال، سلطنة عمان، ط1، 2008.

5-كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1 -1983م.

6-اللغة، جوزيف فندريس Joseph Vendryes، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950 م.

7-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت عام النشر:1420 هـ.

8-معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل

9-معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004.

10-مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، وائل بركات، غسان السيد، مطبعة زيد بن ثابت.

11-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية:

د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1– 1996م.

12–الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.